مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 08 / العـدد: 02 (2022)، ص 759- 771

تمثلات مقولة "الدَّنْيا" في الحس المشترك
دراسة للأقوال المتداولة في المجتمع الجزائري

T he category of « Dounia » in the common meaning . Study of Algerian proverb

زرقة لطفي هشام [1] *

[1] جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان (الجزائر)، zlotfih@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/03/14 تاريخ القبول: 2022/12/26 تاريخ النشر: 2022/12/28

ملخص: لقد حاولنا من خلال هذا العمل التفكير في مقولة "الدَّنْيا" كما هي متداولة في الأمثال الشعبية والأقوال المأثورة، واستعنا في ذلك بنظرية التمثلات الاجتماعية التي أرسى دعائمها سارج موسكوفيسي Serge Moscovici في سبعينات القرن الماضي. ذهب قصدنا الأول في ذلك إلى إظهار العمق السيميائي لهذه المقولة، فوراء بساطتها وعفوية استعمالها، فيما درج عليه الناس، اتضحت لنا ملامح بنية معقدة ومنطق توظيف أخلاقي وتفسيري خاص. لقد ارتكز تشكل هذه المقولة على رؤيتنا الثقافية الإسلامية وارتبط الاثنان بطريقة مخصوصة عوضت فيه "الدنيا" جانبا من تصور المعرفة العامية لإشكال القضاء والقدر في معاش الأفراد. عمدنا بعد ذلك، من خلال بعض مفاهيم التمثلات الاجتماعية، إلى توضيح التقابل اللافت بين طبيعة التغيرات الحاصلة في المسارات الاجتماعية للأفراد وتلك الصفات التي اتصلت بهذه المقولة من تربص ومفاجئة بالعقوبة. لقد اكتسبت "الدَّنيا" طابعا سلبيا خالصا وغدت بذلك من المحاذير التي يخشاها الأفراد ويحسبون لها.

كلمات مفتاحية: التمثّلات الإجتماعيّة. الدَّنيا. البنية.الرّؤية الدّينيّة. الزّمان

Abstract:

Through this work, we tried to reflect on the category "al Dounia" and its social uses in proverbs and sayings. For this, we relied on the theory of social representations initiated by Moscovici in the seventies of the last century. Our first intention was to show the semantic depth of this category and the fact that behind its simple and spontaneous appearance is a complex structure with very precise moral and explanatory functions. The formation of this category is based on our Islamic cultural vision and where "el Dounia" functions as a substitute for the issue of human destiny. Using some concepts of social representations, we tried to clarify the parallelism between the nature of the changes experienced by individuals and the essential attributes of the category studied.

Keywords: social representation, Dounia. Structure . religious vision . time

*المؤلف المرسل

1-المقدمة:

يرافق الحس المشترك[1] مسار الحياة الواقعية للأفراد والجماعات مفسرا وشارحا لما يعتري اليوميات من مستجدات، ويعتمد عند محاولته فعل ذلك مجموعة مقولات مفتاحية تسهل تصنيف الأحداث والإحاطة بسيميائيتها، نجد من بين هذه المقولات "الدَّنيا" معرّفة وبفتح الدّال بخلاف الدُّنيا في العربية الفصحى التي تأتي بضم الدّال، أما أصل الاشتقاق فيها فمن الدنو.

إنما مفردة كثيرة التداول والاستعمال، محل تواضع واتفاق عند عموم الناس كأنها بديهية من بديهيات المعرفة العامية، لا تسأل عند توظيفها ولا يشكك في شرعية ما يستنبط منها.

لكن رغم ذلك، ووراء مظهرها اللفظي البسيط يختفي وجود سيميائي عميق يلخص ويكثف دلالات معقدة، ترتبط فيها الرّؤية الدينية وقداستها بالحياة اليومية وتفاعلاتها، ارتباطا معبرا عن الحياة في جوانبها الأكثر مأساوية. إننا مع مقولة "الدَّنيا" أمام واقعة التمثل La représentation[2] بكل ما يحمله هذا المفهوم في العلوم الاجتماعية من غنى وجدة، وآليات قد تمكن سبر أغوار المعنى والإحاطة به. في هذا الإطار يأتي عملنا هنا قاصدا إلى مسائلة هذه المقولة الشعبية في محاولة الاستخراج بنيتها ووصف طريقة اشتغالها المعرفي، مستندين في ذلك إلى نظريات التمثلات الاجتماعية التي أرسى دعائمها سارج موسكوفيسي serge Moscovici في سبعينات القرن الماضي.

2-المقاربة المفاهيمية و المنهجية للدراسة:

تندرج مقولة "الدَّنيا" ضمن الإطار العام للدراسات حول الأمثال الشعبية، يقول أحمد زغب في تعريفه للمثل بأنه "قول وجيز يعبر عن خلاصة تجربة، مصدر كامل الطبقات الشعبية، يتميز بحسن الكتابة وجودة التشبيه، له طابع تعليمي ويرقى على لغة التواصل العادي" (أحمد زغب، 2008، ص88) ونترك للمتخصصين في هذا المجال عناء التفريق بين الأمثال Proverbes والأقوال المأثورة Sentence ou adage، ففي الإشكال لبس كبير. الأكيد أنها "ترجع جميعها إلى اهتمام روحي واحد، وهو التجارب الفردية التي يعيشها الإنسان" (نبيلة إبراهيم، ص182)

لقد عمدنا في عملنا هذا إلى تجميع كل الأقوال المتداولة التي وجدناها تتحدث عن "الدَّنيا" بذات المفردة ككلي أو فيما معناها، ولم نذهب إلى تفاصيل الأمثال الشعبية المتعلقة بمواضيع مخصوصة من الدنيا، كالأمثال حول المرأة، الزواج، العمل ... لقد وجدناها صنفين اثنين: 1 منها تلك الأقوال التي ترد فيها كلمة "الدَّنيا" بطريقة مباشرة، من قبيل "الدَّنيا ما فيهاش لاَمان" "الدَّنيا غدّارة"

---

[1] يأتي هذا المصطلح للتعريف بنمط تفكير المعرفة العامية الذي لا يخضع لشروط المعرفة العلمية لكنه رغم ذلك يحاول "إيجاد تفسيرات مقبولة للموضوعات" (Bourdieu et autres , 1968 , p141)

[2] تعبّر كلمة Représentation في اللغة الفرنسية عن التعبير الحسي والملموس عن الأشياء المجردة و المبهمة.

"الدَّنيا ما دايماش" .. إنها أقوال مقتضبة تكثف في داخلها دلالات عميقة مرتبطة بالنماذج الفكرية الكبرى وبالتجارب الاجتماعية طويلة الأمد La longue durée على حد قول فاردينون برودال Ferdinand Brandel. إنها أقوال يأتي بها الاستعمال الشعبي في مساقات مخصوصة لتحقيق قراءة محددة في مسارات الأفراد، وهذا أكثر ما نهتم به في تحليلنا لمقولة "الدَّنيا". 2 يتمثل الصنف الثاني من الأقوال في تلك التي يظهر نسبها الدلالي الواضح مع موضوع "الدَّنيا" وإن لم تستعمل هذه المفردة في القول، إنها أقوال من قبيل "اَقرى للزْمان عقوبة" "يَاكْلك الزْمان" "تقدرت"...

يقتضي الاشتغال على هذه المقولات مرافقة من قبل ما يتيحه تحليل الخطاب من تقنيات ضرورية ومحيلة إلى مفهمة القول من وجهة نظر التمثلات الاجتماعية، ليس ذلك بالضرورة مرحلة من مراحل التحليل في شكله المتتابع والمحيل بعضه إلى بعض، وإنما عمل على الدلالة متواصل يتخلل كل جزء من أجزاء البحث تقصيا عن موارد الاستشهاد بالمقولات وسياقات ورودها.

في جانبه الإجرائي لا يتحقق ذلك من خلال مقابلات حول مقولة "الدَّنيا"، فلا سبيل إلى استعراض الأقوال حولها في دليل مقابلة (مصطنع) حول مقولة "الدَّنيا" فإخراج الأقوال عن سياقات ورودها يفقدها جوهر معناها.

لقد تمثل عملنا المنهجي هنا في متابعتنا للكثير من الحوارات الفعلية والمتنوعة في الحياة اليومية للأفراد وما أهمّنا فيها هي تلك المواقف والأحداث التي تُستدعى فيها مقولة "الدَّنيا" بغرض التفسير أو الاتعاظ.

هنا اعتمدنا كذلك مبدأ من مبادئ منهج البحث الإرشادي (أو المساعد على البحث) Méthode de recherche heuristique القائل "أن الخطوة الأولى لكل بحث تتمثل في التجربة الخاصة بالذات الباحثة قبل الذهاب نحو تجارب الآخرين" (Mucchielli, 2004, p226)

إنها مجموعة الوظائف الخاصة بهذه المقولة (تربوية، أخلاقية...) التي تظهر في الخطاب لتقابل نوعا خاصا من الوقائع المتعلقة بالمسارات الحياتية للأفراد des trajectoires de vie. يؤول ذلك في النهاية إلى الانتظام في واقعة "التمثل" كما تقترحه نظرية التمثلات الاجتماعية لتساعدنا في استكشاف بنية هذه المقولة والعمق المعرفي الذي يكمن في الاستعمال الذي يحدده الحس المشترك لهكذا مقولة.

قبل الذهاب إلى التطبيقات المنهجية لهذه الرؤية، وجب استعراض المرجعيات الثقافية العامة التي تنتمي إليه مقولة "الدَّنيا".

3-تعدّد المرجعيات الثقافية لمقولة "الدَّنيا":

من وجهة نظر عامة، تتشكل مقولة "الدَّنيا" ضمن ديناميكية معارفية جماعية Cognition collective.

إنها بمثابة القراءات والتفسيرات المتجددة والمتواصلة التي يحاول من خلالها الحس المشترك استيعاب الأحداث والإحاطة بها دلاليا. أما مرتكز هذه الديناميكية فثقافي بالأساس ويرجع إلى الخلفية القيمية

والمعيارية التي يستقي منها الحس المشترك دلالاته العميقة وأجوبة الإشكالات الاجتماعية التي تواجهه. إن ما نتحدث عنه ليس سوى الرؤية الدينية الإسلامية في كونها تراثا شعبيا (ليس في هيئته المؤسساتية الرسمية) تتداوله الأجيال، وأين تختلط القيم بالأحداث وتتبلور الفهوم والتفسيرات. على الهامش من هذه الرؤية الدينية وعلى النقيض منها نجد النموذج الغربي للحياة La vie كصورة نمطية مثالية معبرة عن عمق التصور الغربي للإنسان والمجتمع، تتداخل هاتان الرؤيتان وتتفاعلان مع أحداث الحياة اليومية في ديناميكية معقدة ومنتجة للمقولات الأساسية المشكلة لمخيالنا الاجتماعي و لطريقة قراءته لوضعيّات خاصّة في حياة الأفراد.

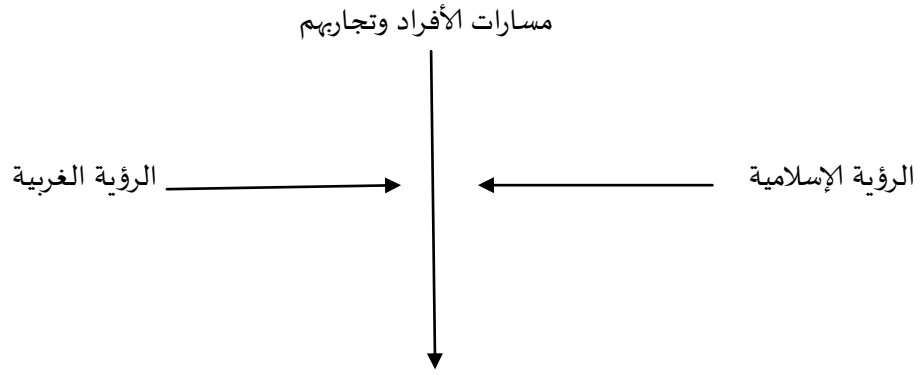

مقولة الدنيا

1.3-تصور الدنيا في الرؤية الإسلامية:

تعبّر مقولة "الدَّنيا" في هذا التصور عن مرحلة ما بين الولادة والموت وما يحدث بينهما من وقائع وأفعال. إنها بمثابة مجال [....] ينتهي ببدإ مرحلة أخرى هي "الآخرة" كونها النهاية.

تأخذ هنا هذه العلاقة بين المقولتين (دنيا/آخرة) شكل تقابل سردي غير دلالي، ذلك أنهما، من جهة، كثيرا ما تردان في نفس السياقات القرآنية ولكن من جهة أخرى يقابل "الدنيا" دلاليا "العليا"، كما يقابل "الآخرة" "الأول".

على العموم تعبّر الرؤية الإسلامية في موضوع الدنيا على أمور ثلاثة أساسية:

- **التحذير من الدنيا:** يعبر القرآن الكريم عن ذلك في العديد من الآيات (نحو 25 آية) تحذر الإنسان من مغريات الدنيا وتعتبرها متاع غرور أو قد تنعتها أحيانا باللهو واللعب "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الريّاح وكان الله على كل شيء مقتدرا" (الكهف الآية 45) أو "اعلموا أنّما

الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" (الحديد الآية 20).

- **تفضيل الآخرة على الدنيا:** يعرض القرآن الكريم في ذلك مقارنات في سياقات كثيرة منها "وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو للدار الآخرة خير للذين يتقون" (الأنعام الآية 32). لقد جاءت هذه الآيات في مساق الذم لأولئك الذين يقدمون أمر الدنيا على الآخرة ويجعلون منها مقصدهم النهائي. تساق هنا مقولة "الدّنيا" ضمن ترتيب للأولويّات تحتلّ فيه المكانة الأدنى.
- **ترتيب الأولى فالأولى:** جعل الآخرة هي الأهم وتوجيه المسلم إلى الموازنة بينهما والأخذ بنصيب قليل فقط من الدنيا بغرض التزود بما يحتاجه منها. يقول الله تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا" (القصص الآية 77). يعبّر التصوّر الدينيّ هنا عن تصوّر وظيفيّ و ليس غائيّ للحياة.

يظهر جليا من هذه الإشارات التي اقتصرنا عليها من الرؤية الدينية، اشتراك مقولة "الدَّنيا" في الحس المشترك مع التوظيف القرآني لمفردة الدنيا في تعبيرهما العام عن مسار الأفراد وحياتهم من الولادة إلى الموت. لكن رغم ذلك تتحدد رؤية الحس المشترك لهذه المقولة بنوع خاص من الأحداث الصعبة التي يعيشها الأفراد، وفي حين تتصف "دنيا" القرآن باللهو واللعب فإن "دنيا" الحس المشترك غدر وصعوبة ومفاجئة بالعقوبة. من هذا المنظور تشبه هذه الأخيرة تصور عرب الجاهلية للدهر[3] ذلك أنهم كانوا يعتبرونه المسؤول عن كل مآسيهم وويلاتهم، وجاء الإسلام بالنهي عن هكذا تأويل و ذهب إلى بناء رؤية سببيّة أخرى تفسّر الأمور تارة بإرجاعها إلى الفعل الإلاهي وتارة أخرى باتهام النفس الإنسانيّة و عقلانيّات الفعل لديها.

عند النظر والتقصي، ربما أمكن إيجاد جانب من المطابقة، بين ما تمثله "الدنيا" في معرفتنا العامية وبين إشكال آخر في ثقافتنا الدينية والمتمثل فيما يجمع في مباحث العقيدة تحت عنوان "القضاء والقدر" فرغم تباين المسميات، نجد أنهما يشتركان في أساسهما في أصل فكرة التدبير وتحديد المسؤوليات والتبعات فيها. إن إشكال القضاء والقدر وما يرافقه من فكرة البلاء والفتنة (المرض،

[3] يشبه استعمال الحس المشترك لمقولة "الزمان" والتي هي من المقولات اللسيقة بموضوعنا.

الفقر، فقدان الأهل...) يتوافق من الجانب المأساوي الذي تمثله الدنيا في الحس المشترك[4]. يدعم ذلك تلك العبارات والأحاديث حول "المكتوب" والتي تجاور مقولة الدنيا في محاولات المعرفة العامية تفهم الأحداث وتفسير مسبباتها.

يختفي هذا الاشتراك الدلالي وراء اختلاف المسميات وتتفادى القراءات الاجتماعية للأحداث مقابلة القضاء والقدر بالدنيا، حفاظا منها على قداسة التصور العقائدي وعدم استباحته في مقابل استقبالها "الدنيا" واتهامها لها. لرفع مسؤولية القضاء والقدر الإلاهي عن الأحداث التراجيدية التي يعيشها الإنسان، يستبدل الحس المشترك المقولة الدينية بأخرى شعبية يحملها الكثير من الدلالات والمعاني السلبية التي تعثريه في معاشه. في محاولة المعرفة العامية الحفاظ على انسجامها مع الثوابت الدينية واستعباد المواجهة المباشرة معها، تصبح "الدَّنيا" هي المهتمة وليس التدبير الغيبي. إنه أحد الحلول الاجتماعية المرضية للمفارقة القائلة بقداسة القضاء والقدر من جهة وباستهجان المنطق التراجيدي للأحداث التي يصعب تقبلها من جهة أخرى. يعبر موسكوفيسي Moscowici عن هذا النوع من الوقائع المعرفية المميزة للمعرفة العامية بالتعدد والارتباك المعارفي polyphasie cognitive بإنها قدرة نظام معارفي متعلق بتفكير فردي أو جماعي، على أن يستوعب بداخله حضور عناصر معرفية غير متوافقة مع بعضها البعض"[5] (Bégue, 2013, p421). إنّها حالة اعتياديّة و مميّزة للمعرفة العامّية تتضايف فيها الأفكار و المعتقدات المتضاربة أحيانا لتعمل بشكل متناغم و ضمن وظائف محددة و داخل سياقات سرديّة واضحة.

2.3-"La vie" في الرؤية الغربية:

في مقابل الرؤية الإسلامية لمقولة الدنيا تأتي مقولة "La vie" في المنظومة الفكرية والحياتية الغربيّة، إنها تقدم صورة نمطية للحياة في شكلها الإيجابي وممثلة في مجموعة من المواصفات كالشباب، الفن، القوة، المتعة ،الجمال... تروج لها السينما والإشهار باعتبارها النموذج الحياتي الذي

---

[4] يعتبر إشكال القدر إشكالا عالميا وثابتا من ثوابت القضايا التي تواجهها كل ثقافة بطريقتها، يسبق أن تعرضنا في عمل سابق لإشكال القدر في المخيال اليوناني القديم ذلك أن الأسطورة اليونانية Mythe grec تتحدث عن ثلاث آلهة مبهمة مسؤولة عن القدرMoirai ... إنها نساء بلا رحمة، لا تستجبن للصلوات الموجهة إليها، وتنسج بالمغزل أقدار الإنسان (Insaniyat, 2006, p57)

[5] قد نجد أمثال هذه الوقائع المعرفية المرتكبة في مفارقة التسميات، ذلك أن التصور السلبي "للدنيا" لم يمنع من اعتماد نفس المفردة في تسميات البنات (les prénoms).

يتطلع لتحقيقه غالبيّة الناس. إنّها تعبير عن مرحلة حياتيّة، مرحلة الشّباب ، لتصبح هي كلّ الحياة و تهمّش مراحل الشيخوخة و الكبر و تستبعد لأنّها لا توافق الميزات الإيجابيّة المراد سوقها في هذا الإطار. إنّها عمليّة اقتطاع دلاليّ ممنهج.

في وقتنا الحاضر بدأت مقولة "la vie" بالتمركز في مخيالنا الشعبي العام خاصة عند فئة الشباب لتشكل آلية تخيلية وتأويلية أساسية في معاشه اليومي وربما أمكننا فهم الكثير من تطلعات الشباب اليوم وسلوكاتهم من خلال ذلك الافتنان بالصورة التي يقدمها الغرب للحياة. في هذا الصدد يأتي إشهار مثل ذلك الذي تقدمه جيزي Djezzy "عيش la vie" ليعبر عما نقصد إلى تبنيه، فاستبدال كلمة دنيا بـ la vie مقصود ودال عن التأكيد على معاني المتعة واللذة التي تتضمنها كلمة la vie. هنا تستبعد كلمة دنيا لأنها لا تحقق الغرض الذي يرموا إليه هذا الإشهار، ولتبقى لها سيمائيتها الخاصة في التعبير عن مدلولات مناقضة لتلك التي تقدمها الرؤية الغربية.

إن هناك توافقا عميقا بين التجارب الحياتية لمرحلة الشباب والرؤية النمطية التي تقدمها المنظومة الغربية للحياة. في هذا الإطار يحتفظ الحس المشترك باستعمال مخصوص لمقولة "الدَّنيا" للتعبير عن المراحل المتقدمة من العمر (الكهولة والشيخوخة) وما قد يعتريها من تقلبات وصعاب. يمكن النظر إلى هذا الموقف العام تجاه مقولات "الدنيا" و"la vie" من خلال اختلاف التجارب التاريخية، بين تلك التي عاشها أسلافنا (الاستعمار، الفقر، الظلم...) و تلك التي يعيشها شباب اليوم من استقرار ورفاهية.

تعتبر الرؤيتين الدينية والغربية كخلفيتان ثقافيتان أساسيتان. إنهما تغذيان الحس المشترك ومجمل المقولات المؤسسة له في تصور الحياة. أضف إلى ذلك التأثير الذي تحدثه الحياة اليومية وتفاعلات الأفراد فيها، بكلّ همومها و صعابها، على تشكل تصورات المعرفة العامية حول مقولة "الدَّنيا". تلتقي هذه العوامل كلها لتحقق الاستقراء المتكرر للوقائع ولمنحنيات سير الأحداث في مسارات الأفراد والجماعات والمنتج لهذا النوع من المقولات والأقوال المأثورة. إنّها بمثابة آلية تحليليّة و تأويليّة معقّدة تنتظم في بنى لها منطق اشتغال خاص.

4-بنية تمثل مقولة "الدنيا" و مستويات تحليلها :

في تعريفها لمفهوم التمثل، تقول دونيس جودولي Denise jodelet:"إنه يعبر عن شكل من المعرفة الخاصة، معرفة الحس المشترك التي تظهر مضامينها صيرورات تشكل واشتغال موسومة اجتماعيا.

من وجهة نظر أعمق تعتبر التمثلات شكلا من أشكال التفكير الاجتماعي، إنها طرق تفكير عملية موجهة نحو التواصل، الفهم والتحكم في المحيط الاجتماعي، المادي والفكري. إن لها خصائص محددة على مستوى تنظيم مضامينها وكذا العمليات الذهنية والمنطقية التي تعمل من خلالها. يتحدد الشكل الذي

تأخذه التمثلات الاجتماعية بالسياق الذي تعمل داخله بالإضافة إلى أنواع التفاعلات الموجودة بين الأفراد والعالم من حولهم (Jodelet, 2003, p3)

في تصوره العام لبنية التمثل، يقترح سارج موسكوفيسي S.Moscovici ثلاث مستويات للتحليل:

- مستوى المعلومات (Information): إنها مجموعة المعارف التي نمتلكها حول الموضوع الاجتماعي وما قد تتصف به (معارف نمطية Stéréotype، معتقدات، أحكام قيمية...)
- حقل التمثل Champ de représentation: هي طريقة انتظام هذه المعلومات وترتيبها، يمكن للباحث استخلاص هذا الحقل في خطاطات أساسية ومقولات مركزية. إنها "محاولة تهدف إلى استخراج العناصر السيمائية الأساسية وتجميعها داخل مقولات" (Lilian Negura, 2006, p)
- الموقف Attitude: هو التوجه العام نحو الموضوع محل التمثل، سواء كان ذلك بالسلب أو بالإيجاب.

1.4-تحليل مستوى المعلومات:

إن أهم المعطيات التي تشتغل عليها الحس المشترك، في مجال هذه الدراسة، هي المسارات الفردية trajectoires de vie. نحاول "التأكيد على العمل المعارفي والخطابي الخاص بهذا. الشكل أو ذلك من الفكر الاجتماعي. إنها مسائلة لطريقة عمل الخطاب... ولكيف يقال ما هو قد قيل" (A.Mucchielli, 2004, p221) لا ترتبط مقولة "الدنيا" بأقدار الجماعات التي قد تستعمل لها مقولات أخرى، وإنما فقط بحالات خاصة من حركية مسارات الأفراد ومنطق منحنياتها (صعودا وهبوطا)، و تأتي المعطيات المرتبطة بمقولة "الدنيا" في مجال حياتي محدود، إنه ذلك الجزء أو المرحلة من مسار الفرد الذي يتحول فيه من الصعود إلى النزول أو بالأحرى إلى السقوط اجتماعيا، غالبا ما تسبق ذلك مراحل من الصعود الاجتماعي متمثلة خاصة في جانبها المادي. إن لهذه الأخيرة قراءاتها الخاصة بها، فغالبا ما ينسب النجاح إلى الصفات المتميزة للفرد أو أحيانا إلى الفضل الإلاهي. للنجاح قراءته الاجتماعية المختلفة عن تلك المتعلقة بتجربة الفشل والسقوط.

ميزة أخرى يعمل من خلالها موضوعنا إنها تلك المتمثلة في اختلاف فهم الأحداث باختلاف الموقع الاجتماعي الذي يتواجد فيه الفاعل، فموقف الفرد الذي يعيش تجربة السقوط الاجتماعي غير موقف المتفرج الذي يقرأ التجربة من موقع المتفرج. أما الأول فيعزوا غالبا أسباب ما يحدث له إلى الابتلاء أو الحسد، أما الثاني فيتجه إلى الاستدلال بالدنيا وما يصاحبها أحيانا من الغدر والعقوبة (التي غالبا ما تكون مستحقة من وجهة نظره، وقد يؤول ذلك أحيانا إلى التشفي بالآخر).

أما عند النظر في طريقة اشتغاله والآليات المنطقية التي يستدعيها، فإن الحس المشترك يتتبع التشابهات الموجودة بين أفراد المجتمع في جانب معين من حياتهم، إنها الاستقراءات (الناقصة دائما)

المتواصلة مع الزمن والمتابعة للأحداث جيلا بعد جيل هي التي تنتج وتكثف دلالات الأقوال التي يعتمدها المجتمع كجزء من تجربته التاريخية.

2.4-حقل التمثّلات في المجتمع الجزائري:

إن الأقوال المتداولة في يومياتنا حول "الدَّنيا" تنقسم دلاليا إلى قسمين. في الأول نجد أقوالا مثل "الدَّنيا والو" "الدَّنيا فانية" "الدّنيا فايتة".. إنها أقوال تتوافق مع عمق الرؤية الدينية، التي تحدثنا عنها سالفا، من تحقير للدنيا وتحذير من الاغترار بها. تساق هذه الأقوال في معرض الاعتبار وفي وضعيات اجتماعية خاصة مثل نظر الناس وتأملهم في مآسي المرض والموت وانعدام القدرة على دفعها. نحن هنا أمام وضعية يطابق فيها الحس المشترك سيمائية التصور الديني في منطق تحليلها لمقولة الدنيا وعلى النقيض تماما من التصور الغربي لفكرة الحياة. أما في الاستعمال الثاني وهو الغالب والأهم فتأتي أغلب الأقوال حول الدنيا بصفات مميزة لها "الدَّنيا غدارة" "ما فيهاش الأمان" "صعيبة". إنها مجموعة صفات أساسية هي: المباغتة- التربص- الإساءة (بمعنى العقوبة) تضاف إليها صفتان ثانويتين وغير متحققتين بالضرورة: أنها غير عادلة (إلى حد الظلم أحيانا) وأنها مبهمة (غير مفهومة دائما).

سنقوم في هذه المرحلة من التحليل بالاهتمام أكثر بالاستعمال الثاني لمقولة "الدنيا" فهو الأكثر حضورا واستشكالا في المعرفة العامية. إنها بمثابة أوصاف تحاول شرح وتفسير نمط معين من مجرى الأحداث التي يعيشها الأفراد، لذلك نجدها مرتبطة بمقولة "الزمان" فهو ذات المسار المتغير الذي تحاول مقولة "الدنيا" تفسيره. لأجل ذلك وجب ربط المقولات بالأحداث في علاقة جدلية يفهم بعضها ببعض وأين يصبح المجرد تشكل Configuration للواقعي على حد قول، بول ريكور Paul Ricoeur.

عند النظر في مسار الأحداث التي تأتي مقولة "الدنيا" لتفسيره نجد على الشكل التالي:

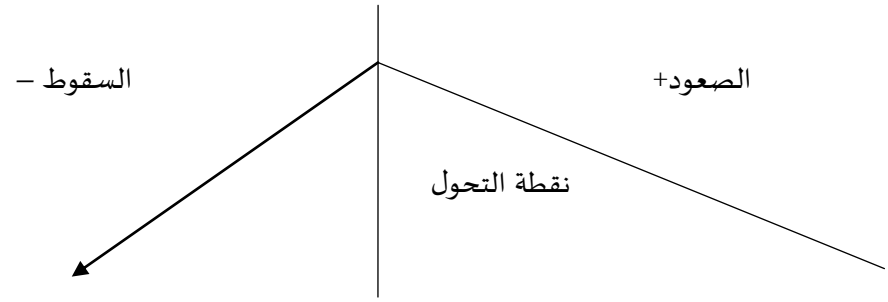

إن هذا المسار يعبر عن منحنى حياتي خاص بنوع من الأفراد، غالبا ما يتميزوا بنجاح اجتماعي Réussite sociale (خاصة في جانبه المادي) معترف به من قبل المحيط الذي يعيشون فيه.

أحيانا يكون هذا النجاح بطرق ملتوية وغير شرعية. بصورة مفاجئة يحدث التحول ويتسارع السقوط الاجتماعي لينتهي إلى مكانة اجتماعية مختلفة تماما عن مسار الصعود الطويل الذي حققه هؤلاء الأفراد. إن الثابت في هذا النوع من المسارات المعينة للأفراد مجموعة أمور:

- هناك تحول من الإيجابي (+) إلى السلبي (-).
- غالبا يظهر تغير غير متوقع ومفاجئ.
- هذا السقوط في معظمه يكون نهائيا (أو على الأقل في مرحلة طويلة الأمد).

لتعميق فهم العلاقة بين منطق المسارات الفردية وقراءات المعرفة العامية المرافقة لها نستضيف مفهوما محوريا في التحليل الذي تعتمده نظرية التمثلات الاجتماعية، إنه مفهوم "الموضعة" l'objectivation

إنها عملية "تحويل المفهوم أو الفكرة المجردة إلى صورة، تسهل الفهم وتجعل الفكرة معرفة. يمكن اعتبارها كشكل من أشكال النمذجة للواقع الاجتماعي: يتحول الشيء المجرد إلى شيء ملموس، إلى نواة متشكلة، معروفة ومألوفة. إنها عملية تتضمن التبسيط من خلال انتقاء عدد قليل من العناصر المكونة للموضوع التمثل والتي تتشكل فيما يسميه موسكوفيسي "نموذج الشكل" Modèle figuratif (Bégue, 2013, p408) إنها "معرفة مصورة وليس مفهمة" (P.Moliner, p81 a 94)

من هذا المنظور تصبح مقولة " الدَّنيا" موضعة objectivation لنمط معين من الأحداث الموجودة اجتماعيا، وتتطابق في ذلك خصائص مسارات الأفراد مع الصفات المنسوبة لـ "الدَّنيا"

الأحداث	الدنيا
السقوط من (+) ⟵ (-)	التربص والإساءة
غير متوقع ومفاجئ	غادرة
بشكل نهائي	العقوبة

يؤكد ذلك قول "هذه هي الدَّنيا" والذي يساق في إطار الحديث عن وقائع المسار العام المذكور آنفا.

إنه تعبير عن المطابقة والتماهي بين الحدث والمقولة، من جهة أخرى كذلك تصبح مقولة "الدَّنيا" مقولة سببية مفسرة لكل ما هو سلبي في الأفراد خاصة غير الصالحين منهم ليصبح بذلك

الناجي من عقوبة "الدَّنيا" حالة خاصة يعبر عنها الحس المشترك أحيانا بـ "دعوة الخير". إنها المنقذة من السيناريوهات المأساوية للحياة ومن خلال تدخل غيبي مبهم ولكنه مفهوم.

ج- الموقف l'attitude:

يعبر الحس المشترك عن موقف سلبي من مقولة "الدَّنيا". إنها موضوع أو ذات يحذر منها ويخاف من مفاجئتها بالعقوبة. نفس الموقف نجده من مقولة "الزُّمان" فهي تلحق بمقولة "الدَّنيا" كجزء منها ومكمل لها. نجد من بين الأقوال المتداولة "اقرى لزُّمان العقوبة" "ياكلك الزُّمان" وكلها أقوال تعبر عن توجس المعرفة العامية من خطورة منعرجات الحياة والصعوبات المتوقعة فيها. و هناك أقوال تجمع بين مقولتي "الدّنيا" و "الزّمان" مجتمعتين من قبيل "الدّنيا تعطي و تقلع و تقصاح بعد الرطوبة، يا ويح اللي ما خدم و اللاّ قرى للزُّمان عقوبة".

يذهب هذا الموقف العام إلى حدّ سبّ الدنيا و شتمها مثل قول "الدَّنيا بنت الكلب". يعمل الحسّ المشترك في ذلك مستبعدا كلّ موقف سلبيّ ضدّ القضاء و القدر بمعناه الدّينيّ و دون التصريح الواضح باتهام الإرادة الإلاهيّة في ذلك. أحيانا يشار إلى هذه الأخيرة بعبارات مقتضبة و حياديّة في استعمالاتها و دلالاتها مثل "تقدرت" "مقادير الله".

أخيرا تجدر الإشارة أنّه على الهامش من ذلك قد تنعت "الدّنيا " بأنّها أحيانا تكون المسؤولة عن مساعدة أناس لا يستحقّون ذلك فعبارة " الدّنيا" عطاتلهم" تأتي في سياق الحديث عن أناس لا يستحقّون ما بحوزتهم و ربّما حصلوا عليه بطرق غير شرعيّة. هنا نقف عند ما يظهر أنّه مفارقة، فمن جهة "الدَّنيا " تنزع و تعاقب و من جهة أخرى تعطي أفرادا آخرين لا يستحقّون ذلك. إنّ ما يجمع هاذين الاتجاهين اللّذان يظهران نوعا ما متناقضين هو أنّ "الدّنيا" ظالمة في كلّ أحوالها و كثيرا ما تكون معاقبة بشكل غير مفهوم و عشوائيّ.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذا العمل مسائلة مقولة من مقولات الحس المشترك من وجهة نظر مقاربة التمثلات الاجتماعية. كان قصدنا الأول في ذلك إظهار العمق السيميائي لمقولة "الدَّنيا" فوراء المظهر البسيط والاستعمال العفوي الغير مسائل لهذه المقولة يختفي منطق اجتماعي معقد، تحاول من خلاله المعرفة العامية فهم ما يحدث في حياة الأفراد، إنها مسائلة لبنية و وظائف هذه المقولة، أول ما رشح لنا من التحليل ذلك الارتباط الوثيق والمعقد، في نفس الوقت، بين العمق التاريخي والثقافي لرؤيتنا الدينية وبين مقولة "الدَّنيا". إنها علاقة واشتراك دلالي بين إشكال القضاء والقدر كما نجده في مباحث العقيدة عندنا وبين التصور الشعبي لهذه المقولة. لقد جاءت هذه الأخيرة لتحول دون المسائلة المباشرة لإرادة الغيب وتفاديا للمواجهة المعرفية معها، إنها آلية استبدال المقولات ببعضها البعض

بغية إيجاد توافق وانسجام عام داخل الرؤية المعرفة العامية لموضوعاتها. بخلاف ذلك تأتي مقولة " La vie" في المنظومة الغربية لتعبر عن التصور النقيض للحياة ، ففي حين يتوحد موقف الدين والحس المشترك في القول بسلبية الدنيا واستهجانها، تعبر مقولة "la vie" عن كل ما هو إيجابي ومرغوب من متعة ولذة في حياة الشباب. إنّها تحوّل مرحلة الشّباب إلى تصوّر عام للحياة و تستبعد مراحل الكبر و الشيخوخة.

اتضح لنا بعد ذلك، ومن خلال الاستعانة بنظرية التمثلات الاجتماعية، ذلك التقابل اللافت بين منحنيات مسارات الأفراد في المجتمع وبين الصفات الأساسية لمقولة "الدّنيا"، وكيف أصبحت هذه الأخيرة موضعة objectivation لنمط معين من الحالات الاجتماعية الصعبة التي يعيشها الأفراد بعد مسارات النجاح والاعتراف الاجتماعي. صفات التربص، القدر والعقوبة أصبحت هي ذاتها حالة السقوط الاجتماعي المفاجئ والدائم الذي يتعرض له الكثير من الأفراد خاصة خلال المراحل المتقدمة من العمر. في نفس السياق، جاءت مقولة "الزّمان" لتعضض هذا التصور السلبي الذي قد تأخذه مجريات الأحداث في حياة الأفراد.

أخيرا، لقد قصدنا كذلك من خلال اشتغالنا على نظرية التمثلات الاجتماعية لموسكوفيسي، إظهار الإمكانات المعرفية التي تفتحها هذه الرؤية المنهجية في تنوير فهمنا للأمثال الشعبية والأقوال المأثورة المتداولة في مجتمعنا، وكيف تمكن بعض مفاهيمها الأساسية استخراج بنى وعلاقات ما كان من الإمكان الولوج إليها بدون هكذا مقاربة.

البيبلوغرافيا:

القرآن الكريم

- أحمد زغب، الأدب الشعبي بين الدرس والتطبيق، مطبعة مزوار، الوادي ط1، 2008.
- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي الجزائري.
- التلي بن شيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري.
- P.Bourdieu, J.c chaubooredon, J.c. Passeron, le métier de sociologue, Mouton, 1968.
- L.Bégue et O.Desrichard (sons direction), travté de psychologie sociale, De boek, 2013.
- D. Jodelet, les représentations sociales, PUF, panis 2003.
- Pascal Moline, objectivation et ancrage du message iconique. Propositions théorique et piste de recherche. Dans Sociétés 2015 /4 (n :130)
- Alex Mucchilli (sons la directiond'), Dictionnaire des méthodes qualitatives en sciences humaines (2^{éme}édution), Armand colin, paris, 2004
- Lilian Negura, l'analyse de Sentence dans l'étude des représentations sociales in revue Sociologies, 2006.

- L.H.zerga. le destin dans l'imagiraine grec. étude de l'histoire de crésus a trvers les textes de Bacchylide et d'Hérodate. Insaniyat (premières recherches) t 2, numéro 29-30, 2005.

ملحق خاص بالأقوال الشعبية المتداولة حول "الدَّنيا"

- الدَّنيا مافيهاش لامان"
- "الدَّنيا غدارة"
- "الدَّنيا صعيبة"
- الدَّنيا فايتة"
- "الدَّنيا والو"
- "هذه هي الدَّنيا"
- "الدَّنيا بنت الكلب"
- "الدَّنيا عطاتلهم"
- "أقرى لزْمان عقوبة"
- "ياكلك الزْمان"
- "الدَّنيا تعطي و تقلع و تقصاح بعد الرطوبة، يا ويح اللي ما خدم و اللاّ قرى للزْمان عقوبة".